A Historical Study On Pandemics Spread in Modern Iraq: Their Economic and Social Effects, and Their Official, Popular, and Legal Treatments

Hamid Qassim Mohammed Al-Jubouri
Department of Law, Al-Maarif University College, Anbar, Iraq
hamed.mohammed@uoa.edu.iq

KEYWORDS: **Pandemics, Iraq, Historical Study, Effects, Treatments.**

https://doi.org/10.51345/.v33i2.465.g272

ABSTRACT:

Health, economic and cultural backwardness was the dominant feature of the peoples of the ancient world, including Iraq in particular, where we read a lot about diseases and epidemics that ravaged the peoples of the world and killed millions of them, and we as Muslims also read about the plague that spread in the Levant at the beginning of the Islamic conquest of this Arab land and the expulsion of the Romans from it. And the Muslims lost many of them more than they sacrificed in the battles of the Islamic conquest, including the great companion Aba Ubaidah Amer Ibn al-Jarrah, the leader of the Muslims in the battles and then the governor of the Levant and Yazid Ibn Abi Sufyan, one of the leaders of the Islamic conquest. Between the sixteenth and the first half of the nineteenth century, modern Iraq witnessed more than (20) epidemic outbreaks, between limited and widespread. And between the period between the second half of the nineteenth century until the first quarter of the twentieth century, there were (19) epidemic outbreaks between wide and limited spread, especially the years 1867 to 1917 AD, and now after the outbreak of the Corona pandemic in our country and the whole world and its spread in Iraq at the beginning of the year 2020 AD, which infected Millions of the world's peoples have collapsed in front of this pandemic, the best health services in the world, and it is still killing between day and night, in hot and cold weather, and all laboratories in the world are working to find an effective vaccine to stop this pandemic, which has brought the world to the brink of economic, health, educational, financial and social collapse.

دراسة تاريخية عن الجوائح التي انتشرت في العراق الحديث وآثارها الاقتصادية والاجتماعية ومعالجاتها الرسمية والشعبية والقانونية

أ.م.د. حامد قاسم محمد الجبوري
قسم القانون، كلية المعارف الجامعة، الأنبار، العراق
hamed.mohammed@uoa.edu.iq

الكلمات المفتاحية | جوائح، العراق، دراسة تاريخية، تأثيرات، معالجات.

https://doi.org/10.51345/.v33i2.465.g272

ملخص البحث:

كان التخلف الصحي والاقتصادي والثقافي السمة الغالبة على شعوب العالم القديم ومنها العراق خاصة، حيث قرأنا الكثير عن الامراض والاوبئة التي فتكت بشعوب العالم وقتلت الملايين منهم، ونحن كمسلمين ايضاً قرأنا عن الطاعون الذي انتشر في بلاد الشام عند بداية الفتح الاسلامي لهذه الارض العربية وطرد الرومان منها، وخسر فيها المسلمين الكثير منهم اكثر مما قدموه من تضحية في معارك الفتح الاسلامي ومنهم الصحابي الجليل ابا عبيدة عامر بن الجراح قائد المسلمين في المعارك ومن ثم والي بلاد الشام ويزيد بن ابي سفيان احد قادة الفتح الاسلامي. وشهد العراق الحديث بين القرنين السادس عشر والنصف الاول من القرن التاسع عشر اكثر من (20) تفشياً وبائياً بين محدود وواسع الانتشار. وبين المدة الواقعة بين النصف الثاني من القرن التاسع عشر وحتى الربع الاول من القرن العشرين كان هناك (19) تفشياً وبائياً بين واسع ومحدود الانتشار وخاصة السنوات 1867 الى 1917م، والان وبعد تفشي جائحة كورونا في بلادنا وكل العالم وانتشاره في العراق بداية عام 2020م والتي اصابت الملايين من شعوب العالم وانهارت امام هذه الجائحة افضل الخدمات الصحية في العالم، ولازالت تفتك بين ليلاً ونهاراً وفي الاجواء الحارة والباردة وكل مختبرات العالم تعمل على ايجاد لقاح فعال يوقف هذه الجائحة التي جعلت العالم على حافة الانهيار الاقتصادي والصحي والتعليمي والمالي والاجتماعي.

المقدمة:

مشكلة البحث:

دراسة الجوائح التي مرت على العراق الحديث وما اصابت من فتك بارواح الناس وتدمير اقتصادهم الضعيف اصلاً وبناهم التحتية المتهالكة.

أهمية البحث:

تكمن اهمية البحث بضرورة معرفة الاثار المدمرة لهذه الجوائح على الناس وكيف تمت مواجهتها والاثار التي ترتبت عليها وما تخلفه من مشاكل على كل الاصعدة.

هدف البحث:

التعريف بهذه الجوائح وبيان المآسي التي خلفتها في المجتمع العراقي لتكون درساً لنا جميعاً كمجتمع وكدولة في كيفية التصدي لهذه الجائحة واهمية الوعي المجتمعي لخطورة هذا المرض الفتاك وكذلك الواجبات الملقاة على الدولة في دعم المؤسسات الصحية وتمكينها من الوقوف امام هذه الجائحة.

هيكلة البحث:

في هذا البحث المتواضع أردنا ان نقدم لمحة تاريخية عن اسباب التفشيات الوبائية في العراق الحديث وكيف تم مواجهتها. ولغرض تنظيم البحث قسمته الى مبحثين: المبحث الاول: ويتناول دراسة تاريخية عن الطاعون وغيره من الاوبئة التي فتكت بالعراق الحديث وتتضمن مطلبين: المطلب الاول: انتشار مرض الطاعون والكوليرا في العراق، والمطلب الثاني: عودة انتشار الكوليرا في العراق مرة اخرى.
المبحث الثاني: اسباب التفشيات الوبائية ومعالجتها الرسمية والشعبية وتقسم الى مطلبين: المطلب الاول: العوامل التي اسهمت في انتشار الطاعون والكوليرا وغيرها من الاوبئة في العراق العثماني، والمطلب الثاني: المعالجات الشعبية والرسمية لهذه الجوائح.

المبحث الاول: دراسة تاريخية عن الطاعون وغيره من الاوبئة التي فتكت بالعراق الحديث واثارها الاجتماعية ومعالجاتها الرسمية والشعبية والقانونية

كان العراق في العهد العثماني يقسم الى ثلاث ولايات هي بغداد وهي الاهم والموصل والبصرة، وكانت كل ولاية مستقلة عن الاخرى ويعين الوالي من خلال فرمان يصدر من السلطان العثماني في الاستانة عاصمة الدولة العثمانية، وشهدت بغداد كما الولايات الاخرى صراعاً مريراً للوصول الى كرسي الولاية خاصة بين المماليك وبينهم وعامة الناس الذين عانوا شدة وارتفاع الضرائب وتدهور الوضع الامني وغيرها من العوامل التي ساهمت في تخلف العراق في كل جوانب الحياة.

المطلب الاول: انتشار مرض الطاعون والكوليرا في العراق

في عام 1780م [1] بدء حكم سليمان الكبير في بغداد 1780م ودام اثنين وعشرين سنة وهي مدة طويلة لم يحظ بها اي والي اخر طيلة التاريخ العثماني، في شهر شباط من عام 1802م بدأ ينتشر في بغداد طاعون شديد، فأضطر الوالي وحاشيته الى مغادرة بغداد والذهاب الى الخالص بغية الابتعاد عن منطقة الوباء، وكان الوالي يومذاك مصاباً بداء المفاصل وقد تجاوز الثمانين من عمره. علم اهل بغداد بخروج الوالي وحاشيته من التجار المعتبرين وغيرهم من الطبقة الموسرة بالخروج ايضاً بعضهم بأذن وبعضهم بغير اذن الى ((ديرة العرب)) وخرج الوزير وحاشيته مع الحرم والمماليك وخزينته جميعاً، فوقع الخوف في قلوب الناس وتعطلت الحياة واختل الامن بين الرعية وكان يموت كل يوم من 20 الى 25 الى 30 فرداً كلهم من المسلمين اما اليهود والنصارى فلم يصبهم شئ لانهم عزلوا انفسهم في بيوتهم واغلقوا ابوابهم طيلة فترة الوباء.[2]

الكوليرا:

انتشر هذا الوباء في البصرة في اوائل شهر اب عام 1820م، وهذا الوباء الهيضة (الكوليرا) جاء الى البصرة من مدينة شيراز وبندر عباس وبوشهر الايرانية ثم وصل البصرة، والظاهر ان العراقيين لم يكن لهم عهداً بهذا الوباء فأستغربوا منه و لم يعرفوا له دواءأ، واطلقوا عليه اسم الهواء الاصفر و (ابو زوعة) وكتب احد سكان البصرة يومذاك فقال ما نصه [3] وفي تلك السنة حصل وباء عظيم في البصرة كاد ان ينهي اهل البصرة، وكثير من البيوت مات اهلها جميعاً وقفلت بالهيضة، وكثير من الاموات يجدونهم في الطرقات ولا يعلمون من اي الجهات هم، واغلب الناس فروا الى البادية، وهو طاعون كالذي ذكره الامام النووي ان من علاماته القئ والاسهال يبتلى به صاحبه فإذا بال سلم منه. واستمر هذا الوباء في البصرة من اواخر شوال الى اخر ذي القعدة، وكان يشتد تارة وتارة يخف الى ان انعدم، وصاحبه تعتريه حرارة عظيمة ظاهراً وباطناً، وقد القى بعض المصابين بنفسه في الماء البارد و لم يفده شيئاً وقضى نحبه، وتحيرت فيه الاطباء وما علموا له دواءً اصلاً كما انهم لم يتحققوا اسبابه على اليقين، بل كل من الحكماء يبدي سبباً للوباء يخالف ما يقوله الحكيم الاخر، وهذا دليل على عدم الوقوف على حقيقة الوباء.

في منتصف اب اشتدت وطأة الوباء في البصرة ثم اخذ يسري شمالاً فأجتاح سوق الشيوخ والعرجة والسماوة والنجف وكربلاء والحلة حتى وصل بغداد ومنها انتقل الى كركوك والسليمانية. وقد فاتح

داود باشا رجال القنصلية البريطانية للتعاون معهم على درء الخطر فتقدم (حكيم الياليوز)[4] ببعض الادوية التي تساعد على الوقاية منه فترجمت الى التركية ووزعت على الجهات المختصة للعمل بها.

وبينما كان العراق يعاني من وباء الهيضة الوافدة اليه من ايران، بدأ يهدده وباء من نوع اخر هو الجيوش الايرانية الغازية للعراق، وكان هناك مائة سبب كما يقول (لونكريك) للغزو الايراني الذي تقدم من جهة السليمانية بجيش ضخم بقيادة (الشاهزاده اباء فتح علي شاه) حيث التقى مع الجيش القادم من بغداد بقيادة الكهية محمد أغا، وجرت معركة بين الفريقين اصيب فيها جيش الكهية بهزيمة شنعاء ويقال ان الكهية ساهم في الهزيمة بعد ان وعده الشاهزاده بأن يعينه والياُ على بغداد عند فتحها.

انفتح الطريق امام الجيش الايراني بعد تلك الهزيمة فأخذ يتقدم نحو بغداد حتى وصل الى قرية ((هبهب)) وهي على مسيرة يوم واحد نحو بغداد وفي تلك الاونة كانت الهيضة منتشرة في بغداد ثم أخذ يسري الوباء نحو الشمال فأنتشر بين صفوف الجيش الايراني حتى اصيب به الشاهزاده نفسه فأدرك بأنه غير قادر على الاستمرار في الحرب وقرر الانسحاب الى بلاده وما ان وصل الى كرمنشاه حتى مات. وحين وصل الخبر الى بغداد بانسحاب الجيش الايراني ووفاة قائده عم الفرح بين الجميع وكان ذلك بمثابة الفرج من السماء.

حاول حسين ميرزا ابن الشاهزادة ان يعيد الكرة على العراق فأرسل جيشاً ضخماً لغزوه، وتقدم الجيش حتى وصل مدينة شهربان، غير ان وباء الهيضة فتك فيه للمرة الثانية كما فعل في المرة الاولى مما اضطر الجيش الايراني الى الانسحاب من العراق والعودة الى ايران.

وفي عام 1822م عقد مؤتمر ارضروم وفيه تم الصلح بين الدولتين الايرانية والعثمانية حيث اتفق الطرفان على تسوية القضايا التي كانت تثير الخصومة بينهما كقضية الحدود وضرائب التجار ومعاملة الزوار الذين يقصدون العتبات المقدسة، وبذلك ازاح هذا الوباء الوباء الاخر القادم من ايران وكما يقال رب ضارة نافعة.

الطاعون في بغداد من جديد:

في اوائل شباط من عام 1831م بدء في بغداد طاعون عظيم يمكن ان نقول عنه انه افضع وباء حل بالعراق عبر تأريخه الطويل وقد ظل المعمرون من اهل بغداد يتحدثون عن ماسيه حتى عهد متأخر، وفي بغداد الان سوق يسمى (السوق الجائف) وهو انما سمي بهذا الاسم لانه امتلأ بالموتى اثناء الطاعون واشتدت النتونة فيه الى درجة لا تطاق، ولابد لنا هنا ان نقف عند هذا الطاعون لنتكلم عن حيثياته مركزين على الحياة الاجتماعية والمعالجات القانونية التي سادت في بغداد فترة انتشار هذا الوباء الظالم.

جاء هذا الطاعون من جهة تبريز عند الحدود الشمالية للعراق مع ايران وكانت ولاية بغداد على علم به لأن انتشاره بدأ في تبريز منذ منتصف تموز عام 1830م، وبعد شهرين وصل الى كركوك، فطلب والي بغداد انذاك داود باشا من طبيب القنصلية البريطانية اعداد منهج للحجر الصحي بغية منع الوباء من التقدم نحو بغداد. وقد اعد الطبيب المنهج ولكن المتزمتين من رجال الدين افتوا بأن الحجر الصحي مخالف للشريعة الاسلامية، ومنعوا داود باشا من اتخاذ اي عمل لصد سير الوباء، ولهذا كانت القوافل الواردة من ايران وكردستان تدخل الى بغداد بكل حرية.(5)

وفي اواخر اذار عام 1831م ظهرت اول اصابة طاعونية في بغداد وكانت في محلات اليهود القذرة ثم اخذ الطاعون يسري نحو المحلات الاخرى وذكرت جريدة البلاد البغدادية ان عدد الجنائز التي اخرجت من ابواب المدينة في اواخر شهر اذار بلغ الالف، وفي اواسط شهر نيسان بلغ العدد ثلاثة الاف جنازة يومياً حسب ما ضبط في سجلات الموظفين، ثم لم يبق من الموظفين بعدئذ من يقوم بالتسجيل.(6)

عمد الاوربيون الذين كانوا في بغداد، والمسيحيون المتصلون بهم الى حجر انفسهم في بيوتهم لا يخرجون منها وذلك بعد ان جهزوا انفسهم بما يلزم من مواد التموين، وكانوا اذا اضطروا الى اخذ شئ من الخارج سحبوه الى فوق من الشبابيك ثم امسكوه بالملاقط وادخلوه قبل البدء باستعماله، ولهذا كانت الاصابات بينهم قليلة نسبياً وكانت تأتي عليهم عن طريق القطط احياناً، اما سائر الناس فقد استسلموا للقدر واخذ الطاعون يحصدهم حصداً حتى قيل ان عدد الموتى في اليوم الواحد بلغ اخيراً تسعة الاف. والغريب ان اللصوص انتهزوا الفرصة فصاروا يدخلون البيوت لينهبوها دون ان يخشوا احداً من اصحابهم لانهم اما ان يكونوا قد ماتوا او هم على وشك الموت.

ومن الطريف الذي يروى على لسان استاذنا المرحوم الدكتور علي الوردي ان والد جده رأى في المنام كأن الملائكة يمرون في الزقاق يسجلون عدد الذين سيموتون في كل بيت، وقد وجد ان العدد الذي سجل عن بيته يطابق عدد عائلته، ولما كان افراد عائلته قد ماتوا جميعاً ما عداه أيقن انه لابد مائت قريباً، وحين استيقظ من النوم استعد للموت فغسل بدنه ولبس الكفن ثم تمدد نحو القبلة، وشاءت المصادفة ان يدخل في تلك اللحظة الى البيت لص، وظن اللص ان صاحب البيت ميت غير انه فوجئ به على حين غره وهو ينهض صارخاً به، فوقع اللص ميتاً من هول المفاجأة، وعند هذا ايقن صاحب البيت ان عدد الموتى الذي سجل عن بيته قد تم فلا داعي لموته اذن، فبقى على قيد الحياة يحمد الله على نعمته.(7)

ينبغي ان لا ننسى ان الكثير من الناس ماتوا دون ان يصابوا بالطاعون بل استولى عليهم الخوف فأماتهم، لذلك كان البغداديون يسمون هذا المرض (الوهم) ولابد هنا من التذكير بالواقع الصحي المتردي كذلك الاقتصادي انذاك.

مشاهدات فريزر:

فريزر مبشر بريطاني كان يسكن في بغداد، وفتح فيها مدرسة لأيتام النصارى، فلما بدأ الطاعون طلب منه القنصل البريطاني الانتقال معه الى ريف البصرة تجنباً للعدوى، فأبى غروفز وقرر البقاء في بغداد وسجل مشاهداته عن تلك الايام الرهيبة في كتاب صدر في لندن عام 1832م ويعد كتابه هذا ادق تسجيل لاحداث الطاعون في بغداد ويقول عن هذه الايام [8]

اغلق فريزر داره وكان يسكن فيها اثنا عشر شخصاً من بينهم معلم ارمني واسرته، وكانت في مقابل داره دربونة تؤدي الى ثمانية بيوت ومن هذه البقعة الصغيرة كانوا يشاهدون الجثث تنقل الى الخارج يوماً بعد يوم حتى صعد عددها الى سبع عشر جثة وكانت الشوارع قد خلت من المارة فلا يرى فيها سوى حملة الموتى او الذين ياخذون الاكفان لهم والسقائين الذين يأخذون الماء لغسل الجثث.

وفي اليوم الرابع والعشرين من نيسان خرج فريزر من داره لزيارة القنصلية البريطانية، فلم يصادف في طريقه احد عدا الذين يحملون الجثث والاشخاص المصابين، وكانت صرر الملابس من مخلفات الموتى ملقاة بالقرب من كثير من الابواب، وقد اغلقت ساحة الجامع الكبير اذ لم يبقى فيها مكان لدفن احد فصار الناس يحفرون القبور في جوانب الطرق وحتى في الطرق نفسها وفي كل بقعة فارغة اخرى.

ويذكر فريزر ان الموت اصبح مألوفاً عند الناس بحيث كانوا يدفنون اقرب الناس اليهم من غير اكتراث ظاهر، ثم وصل الحال اخيراً الى ان الناس اخذوا يتساقطون في الطرقات فلا يدفنهم احد فتأتي الكلاب تنهش اجسادهم وربما كان بعضهم اثناء ذلك لا يزال يعالج سكرات الموت، وكان اشد المناظر ايلاماً وجود المئات من الاطفال في الطرقات وهم يتصارخون بعد موت امهاتهم

ظاهرة اجتماعية:

من الظواهر التي لاحظها غروفز في هذا الوباء هي شدة اهتمام الناس بغسل الميت وتحنيطه وتكفينه واجراء كل ما امرت به الشريعة الاسلامية في هذا الشأن، انهم اعتادوا ان يخالفوا اوامر الشريعة في حياتهم العملية كل يوم فلا يبالون ولكنهم عند الموت يحرصون اشد الحرص على اتباع الشريعة مع العلم ان غسل الميت في وقت الوباء يزيد من انتشار عدواه بينهم. والاغرب من هذا ان الكثير من الناس

يسارعون الى شراء مواد التحنيط والتكفين لانفسهم وافراد عائلاتهم حالما يسمعون بأنتشار الوباء بينهم استعداداً للموت. لهذا ارتفعت اسعار مواد التكفين والقطن والحبال الى اربعة اضعاف سعرها الاصلي وحتى السقائين اغتنموا الفرصة كما اغتنمها بائع مواد التكفين والقطن والحبل فكانوا اذا طلب منهم قربة ماء لغسل الموتى كان جوابه ان يأخذ الميت الى النهر لغسله، وقد اضطر بعضهم ان يذهب بنفسه الى النهر من اجل جلب الماء ليغسل فيه طفلاً ميتاً. (9)

من مذكرات سليمان فائق:

يذكر سليمان فائق ما ملخصه (10) عندما بلغت الجنائز اليومية بين الستمائة والسبعمائة جنازة زاد خوفه واضطرابه وكان شاباً فذهب الى والده يستأذنه خروجه واهله من بغداد خوفاً من الوباء وبين له خطأ رجال الدين الذين حرموا الحجر الصحي وان الشريعة الاسلامية لا تؤيدهم في ذلك، اقتنع والده برأيه ولكنه فضل البقاء مع صديقه والي بغداد داود باشا لانه ليس من الاصول تركه.

ويذكر ايضاً انه خرج مع اهله ومعه بعض سكان بغداد فخيموا في الصحراء على مقربة من بعقوبة، وكان سليمان فائق يغير موضع خيامه مرة كل اربعة او خمسة ايام حذراً من العدوى ونجا منها فعلاً هو ومن معه لم يمت منهم احد سوى الذين ارسلوا الى القرى لطحن الحبوب.

وعندما خف الطاعون عزم سليمان ان يسرع في العودة الى بغداد خوفاً من السلب والنهب من قبل بعض العشائر المحيطين بهم، وعند وصل سليمان فائق الى مشارف بغداد لاحظ ان المدينة محاطة بالمياه من الجهات الاربعة، لان النهر كان قد فاض في اواخر ايام الطاعون ولم يكن في المدينة من يقدر على مكافحته، فأغرق الكثير من محلاتها فستأجر سليمان فائق ((قفه)) وركبها مع اهله وساروا بها داخل المدينة حتى وصلوا الى الموضع المسمى ب (حمام الراعي) وهناك نزلوا من القفه وبدأوا يسيرون على اقدامهم، ولكنهم لم يجدوا في الطرقات التي مشوا فيها اي انسان حتى والدته قالت للنساء اللاتي معها ايتها البنات لا يوجد احد في الطريق فلما نسير وقد اسدلنا هذا النقاب ؟ فرفعت النساء النقاب عن وجوههن وسرن من غير ان يشاهدن انساناً.

وعند وصولهم الى محلة النصارى شاهدوا امراة تطل عليهم من نافذة احدى الدور تستفسر منهم عن حالهم ثم التفت نحو الدار تخبر من فيها بوجود بشر في الطريق لايزالون على قيد الحياة، وسألها سليمان فائق عن سر بقائها فأجابت نحن نصارى وجئنا هنا واقمن الحجر على انفسنا وكنا في بداية الحجر واحد واربعين نفراً واصبحنا الان ثلاثة واربعين نفراً وذلك بولادة طفلين جديدين انضموا الينا.

يذكر سليمان فائق انه بعد وصوله مع النساء الى دارهم ذهب لزيارة داود باشا والي بغداد في مقره فوجده في دائرة الحرم مطروحاً في الفراش وهو في غيبوبة لاصابته بالطاعون وبعد عدة ايام تحسنت صحته قليلاً لذلك بدء بتعيين الموظفين ورجال الامن بعد عودة اللصوص الى المدينة وقيامهم بسرقة ما بقى في المدينة بعد الوباء والفيضان.

وكانت جثث الموتى اذ ذاك لا تزال مطروحة في البيوت والاسواق والطرقات، وبلغ تعفن الهواء حداً لا يطاق، فعين داود باشا جنوداً لتنظيف بغداد وخصص مبلغ من المال لنقل كل جثة فألقيت الاف الجثث في نهر دجلة من غير تكفين او تجهيز، وكانت الجثث تشد من ارجلها بالحبال وتربط بذيول الحيوانات السائبة التي لم يكن لها مالك فتسحبها الحيوانات وهي مقلوبة على وجوهها حتى شاطئ النهر حيث تلقى هناك.

المطلب الثاني: عودة انتشار الكوليرا في العراق من جديد

كالعادة في كل مرة انتشرت الكوليرا في ايران عام 1846م وفي 23 اب وكان موافقاً لليوم الاول من شهر رمضان من نفس العام ظهرت بوادر المرض في بغداد فساد الرعب وارتفعت اسعار المواد الغذائية واسعار مواد التحنيط والتكفين، ومن الظواهر الاجتماعية التي تلاحظ في بغداد عند كل وباء يفد اليها هي ان الموسرين من سكانها ورجال الحكم والقناصل يهربون من المدينة ومعهم الخيم ومواد التموين، فيخيمون في البراري بعيداً عن الناس وبذلك ينجوا من الوباء في الغالب. غير ان بغداد عانت عند ذاك بموجة عارمة من اللصوص اذ هم ينتهزون فرصة خلو المدينة من السلطة فيدخلون الدور كما يكسرون ابواب الدكاكين ويعيثون فيها نهباً وتخريباً.

كان القنصل البريطاني من جملة الذين هربوا من بغداد عندما حل بها وباء الكوليرا عام 1846م، فذهب هو ومن معه من موظفي القنصلية وخدمها الى مقربة من طاق كسرى فخيموا هناك وفرضوا على انفسهم نظام الحجر الصحي بكل دقة. الغريب ان القنصل الفرنسي اصر على البقاء في بغداد فلم يغادرها طيلة ايام الوباء، وكأنه اراد بذلك ان يتحدى القنصل البريطاني ويستهين به، وقد اصيب القنصل الفرنسي بالوباء وكاد ان يقضي عليه لو لم يسرع لانقاذه طبيب اوربي كان ماراً ببغداد يومذاك في 14 تشرين الاول 1846م عندما ابل القنصل الفرنسي من مرضه كتب الى حكومته رسالة يصف فيها حالة بغداد اثناء الوباء والسبب الذي منعه من مغادرتها وملخصها: (11)

بدأت الكوليرا بالتفشي والانتشار وبين الاهالي الجهلاء بصورة مرعبة فأرتاعوا منها كل الارتياع نظراً لانهم محرومون ممن يعطيهم ارشادات صحية، وما ان بدأ الوباء بالظهور حتى غادر قنصل انكلترا بغداد

والتجأ الى طاق كسرى الذي يبعد عنها مسيرة ست ساعات وقد اصطحب معه طبيب قنصليته النظامي الوحيد الذي استطاع ان يقدم للمرضى بعض المساعدات، وقد فرض على نفسه وعلى مرؤوسيه ومواطنيه الحجر الصحي الاربعيني ورفض رفضاً قاطعاً الاتصال بالمدينة ولا يزال هذا الاعتزال نافذ المفعول حتى الان.

وما ان علم السكان برحيل الانكليز هذا حتى هربت طائفة اليهود بأجمعها تقريباً وتبعتها طائفة جماعة من النصارى وحذا حذوهم عدد كبير من الاعراب هاربين من هذا الوباء متجهين مختلف الاتجاهات حينما عرفوا بطبيعة المرض المعدية اما بقية السكان فوجدوا الفرصة ملائمة للنهب والسلب هذه تمهيداً لاعلان الثورة على الوالي العثماني.

في هذه الظروف يذكر القنصل الفرنسي انه من غير الملائم ان اترك واجباتي وان اترك مكاني مثل القنصل البريطاني وفضلت البقاء في القنصلية مع ابناء جلدتي من الفرنسيين والاجانب المشمولين بالحماية الفرنسية، وبعد اسبوعين من بدء الوباء تبين ان الكوليرا حصدت ارواح 4318 نسمة من السكان من مختلف الاعمار ثم بدء العدد بالازدياد حتى لم يبق في المدينة سوى اقل من 35 الف نسمة. اما الاوربيون فلم يخسروا الا ضحية واحدة وهو الاب ((الفونس)) معاون مدير الارسالية التبشيرية اللاتينية ومنذ بعض ايام اخذ المرض بالانحسار ووقعت اصابات متفرقة بهذا المرض هنا وهناك لكنه تراجع منحسراً عن المدينة.[12]

الكوليرا من جديد:

لم يكد ينقضي على هذا الوباء الذي ذكرناه سابقاً سوى اشهر معدودة حتى ظهرت بوادر وباء جديد من الكوليرا، وكانت بوادر ظهوره في البصرة واخذ يسري نحو الشمال تدريجياً وحين وصل الحلة واخذ يفتك بأهلها ثم وصل بغداد فكان معدل اصاباتها اليومية ثلاثين يموت نصفهم تقريباً.[13]

وكان للحكومة طبيب فرنسي يدعى الدكتور ((دروز)) وحذر هذا الطبيب الحكومة من الوباء قبل مجيئه، وطلب مبالغ من المال لإعداد بعض الادوية اللازمة له. غير ان الحكومة لم تهتم بطلبه و لم تتخذ اي اجراء للوقاية من الوباء، وقد اصيب القنصل الفرنسي بالوباء في هذه المرة ايضاً ولكن بخطورة اقل من خطورة المرة الاولى، واضطر الى الانتقال الى بستان النجيبية في باب المعظم قريباً من مسكن الوالي الصيفي.

في بداية القرن العشرين بدأ الاحتلال البريطاني للعراق ونزلت قوات بريطانية واحتلت البصرة عام 1914م بعدها تقدمت نحو الشمال واصطدمت بالقوات العثمانية مع المتطوعين المدنيين الذين تطوعوا

للجهاد ضد الكفار البريطانيين يقودهم السيد محمد سعيد الحبوبي وجرت معركة فاصلة سميت بمعركة الشعيبة وكانت القوة متكافئة بين الطرفين وبالنتيجة هزمت القوة العثمانية وتقهقرت نحو الشمال تلاحقها القوات البريطانية حتى مشارف مدينة بغداد حيث وصلت تعزيزات عثمانية بقيادة الفريق خليل باشا واستطاعت هذه القوة من هزيمة الجيش البريطاني في معركة (سلمان باك) وتراجعت القوات البريطانية وتم محاصرتها في مدينة الكوت من نهاية عام 1915 الى 29/نيسان/1916 حيث اضطرت القوات البريطانية الى الاستسلام بعد هذا الحصار الطويل والذي اضطر فيه الى اكل الكلاب والقطط وتعتبر هذه الهزيمة من اكثر الخسائر ايلاماً لبريطانيا العظمى في الحرب العالمية الاولى حيث سلم اكثر من 23000 جندي مع قائدهم الجنرال طاوزند انفسهم الى الجيش العثماني، وتم اخذهم اسرى مشياً على الاقدام الى مدينة الاستانة عاصمة الدولة العثمانية. ولكن البريطانيون ارسلوا تعزيزات جديدة واستطاعوا احتلال مدينة بغداد في يوم 11/ اذار / 1917 بقيادة الجنرال مود، ومن الملاحظ ان اكثر جنود الجيش البريطاني هم من شبه القارة الهندية ومن مستعمراتها في جنوب شرق اسيا وجميعهم جائوا من مجتمع فقير لذلك كانوا محملين بالامراض والتي انتقلت عدواها الى اهل بغداد مع دخول الجيش البريطاني حيث تفشى مرض الكوليرا بشكل واسع واصيب بهذا المرض قائد القوة البريطانية نفسه الجنرال مود وتوفي في بغداد بسبب هذا المرض.

المبحث الثاني: اسباب التفشيات الوبائية ومعالجاتها الرسمية والشعبية

المطلب الأول: العوامل التي اسهمت في انتشار الطاعون والكوليرا وغيرهما من الاوبئـــة في العراق العثماني

تعرضت بلاد الرافدين طوال تاريخها الحديث الى تفشيات وبائية عديدة كالطاعون، وفي الواقع ان هذه التفشيات الوبائية كانت امتداداً لهجمات وبائية فتاكة اخرى كانت قد اجتاحت العراق في قرون مضت.

ففي المدة الواقعة بين القرنين السادس عشر والنصف الاول من القرن التاسع عشر، كان هناك نحو (20) تفشياً وبائياً للطاعون المحدود والواسع الانتشار وفي السنوات من 1596 الى 1840م وفي المدة الواقعة من النصف الثاني من القرن التاسع عشر وحتى الربع الاول من القرن العشرين كان هناك 19 تفشياً وبائياً المحدود والواسع الانتشار في السنوات 1867-1915

العوامل التي اسهمت في انتشار الطاعون في العراق العثماني

1- العامل الجغرافي ذو الصلة بالمناخ:

لقد بين العلماء بأن الاوبئة هي كحال الامراض الاخرى، حساسة جداً للحرارة والرطوبة وهطول الامطار، وكل واحدة من تلك الظروف ممكن ان تزيد او تقصر في الدورة الحياتية للوباء، فبذلك فأن الطبيعة ذاتها قد توجد وسائل النشر للجراثيم والفايروسات، او توجد وسائل لقتلها. وفي ضوء ذلك فأنه باستثناءات قليلة، فأن موسم الربيع كان المفضل للطاعون في ظهوره وازدهاره، بينما اسهمت حرارة موسم الصيف في تضائله اولا ومن ثم انقراضه، فعلى الاغلب عجلت درجة حرارة 40 مئوية (104) فهرنهايت في انقراضه.

2- الكوارث الطبيعية كالفيضانات والمجاعات:

كانت الفيضانات ظاهرة كارثية ملازمة للعراق طوال تاريخه، وفي الحقيقة انه كما كان الربيع الموسم المفضل للاندلاعات الوبائية للطاعون، كانت الفيضانات ايضاً تحدث في الموسم ذاته.

ففي كثير من الاحيان هاجم الطاعون والفيضان سوياً المدن في التاريخ العراقي، فعلى سبيل المثال في السنوات 1822 و 1831 وفي 1876 فاضت انهر دجلة والفرات على نحو استثنائي فبالاضافة الى الاضرار التي الحقتها تلك الفيضانات بالمحاصيل والبيوت وبالوضع المعاشي للسكان، فأنها دفعت بالكثير من الذين غادروا بيوتهم هرباً من الطاعون والفيضان ان يلجأوا لمناطق اخرى ناشرين فيها العدوى الوبائية القاتلة. وبسبب هذه الصلة بين الفيضان والطاعون، كان الفيضان نذير شؤم لاهل بغداد وللسلطات الصحية، لان كان لديهم اعتقاد سائد بأن اي فيضان لابد ان يتلوه طاعون.

اما صلة المجاعات بالطاعون، في صلة قائمة على فرضية ان هناك اناس في بقعة جغرافية معينة اجتاحتها مجاعة واصيبوا بوباء كانوا يحملون عدواه الى مناطق اخرى نظيفة من الداء. وهذا ما حدث تماماً عام 1689م عندما اجتاحت الموصل مجاعة اظطر اهلوها للهروب الى اجزاء اخرى من العراق. وقد بلغ بعض من هؤلاء بغداد جالبين لها عدوى الطاعون معهم.

3- المستويات المتدنية للنظافة وتفشي الفقر:

عانت اغلب مدن وبلدات العراق العثماني من نقص النظافة والصحة العامة، فقذارة اغلب البيوت والمياه الملوثة غير الصالحة للشرب، جعلت تلك المدن مرتعاً مزدهراً لاي وباء.

وكانت الاوضاع الصحية في القرى وبين البدو اسوء بكثير في عام 1893م حيث وصف القنصل الامريكي في بغداد جون ساندبرغ المكان الذي تؤخذ منه المياه في دجلة بأن مئات الحمير ترتاده،

والرجال يتغوطون ويتبولون فيه كل يوم، فضلاً عن ذلك افتقرت كل مدن وبلدات العراق العثماني الى شبكات الصرف الصحي.

واسهم الفقر وتدني المستوى المعاشي للسكان في انتشار الطاعون بشكل كبير، فقد احتشد الفقراء في بغداد والمدن العراقية الاخرى في اماكن متقاربة كالازقة والدروب الضيقة، وهو ما جعلهم هدفاً سهلاً للطاعون.

فلا غرابة ان اطلق البعض على الطاعون اسم (مرض الرجل الفقير) الذي لم يذهب قط الى الطابق العلوي في اشارة للاغنياء، فيما وصفه اخرون بأنه (داء التعساء) او (طاعون الفقراء) وذلك لانه نادراً ما ادخر حياة الفقراء بينما قلما هو هاجم الاغنياء لان وسائل النظافة والسكن والوعي الصحي توفرت لديهم اكثر من الفقراء.

4- نقص وعدم كفاءة المؤسسات الصحية والكادر الصحي:

افتقرت ولايات العراق الثلاث بغداد والموصل والبصرة الى مؤسسات صحية متطورة وخصوصاً المستشفيات، فقد كان بأمكان هكذا مؤسسات ان تؤدي دوراً فاعلاً في تقليص الامراض والهجمات الوبائية التي كانت تستهدف سكان العراق من حين لاخر. و لم يكن في بغداد او مناطق العراق الاخرى لغاية نهاية العهد العثماني عام 1918م سوى عدد محدود من المستشفيات القديمة الطراز التي لم تعد تتماشى يومذاك مع التطورات العالمية التي حدثت في المجال الصحي اثناء القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين.

بالاضافة لنقص المؤسسات الصحية كان هناك ايضاً نقص واضح في ملاك العاملين بها، واذا اخذنا بنظر الاعتبار نسبة عدد الاطباء انذاك في بغداد كإنموذج الى عدد السكان نجد ان افضل تقدير كان طبيب واحد لكل 16.945 نسمة وهذا الحال انطبق ايضاً على مدن ولايتي الموصل والبصرة ، مع عدم الاهتمام بالمراكز الصحية حيث افتتح اول مركز صحي في بغداد في منطقة الكرنتينة وفيما بعد وعلى نفس الموقع تم انشاء المستشفى المجيدي والتي بقيت حتى عام 1958 حيث تم تغيير اسمها الى المستشفى الجمهوري، ثم تحولت فيما بعد الى مدينة الطب حالياً.

5- عدم الاستقرار السياسي وسوء الادارة:

عرقل عدم الاستقرار السياسي في العراق العثماني والى حد كبير تطور وتقدم قطاع الصحة فيه، وكان احد ابرز مظاهر عدم الاستقرار التبدلات السريعة لولاة العراق العثمانيين، التي عزيت لاسباب شتى.

وبذلك كان من المستحيل على العديد منهم ان ينفذوا برامج اصلاحية متكاملة، بما في ذلك قطاع الخدمات الصحية، لذلك فأن اغلب هؤلاء الولاة تركوا بصمة خفيفة على الحياة في ولايات العراق العثماني ثم اختفوا سريعاً.

ان عدم الاستقرار السياسي وانعدام المسؤولية وسوء الادارة ونقص التمويل ادى الى غياب خطة لما قبل التفشي الوبائي، لقد كان بمقدور هكذا خطة ان تضمن خدمات طبية ووقائية كفيلة بالحد من الاوبئة الفتاكة، لكن للاسف كانت اجراءات الادارة العثمانية في اسطنبول والعراق المتعلقة بمكافحة الاوبئة الفتاكة مبرمجة فقط لمرحلة ما بعد التفشي الوبائي.

ولهذا السبب لم تكن لبغداد او المدن والبلدات العراقية الاخرى اية مناعة ضد الهجمات الوبائية التي اجتاحت العراق طوال العهد العثماني.

6- المعتقدات والشعائر الدينية:

تركت المعتقدات الاسلامية أثرها البين في تفسير الظاهرة المرضية والوبائية بين رعايا الدولة العثمانية فبغض النظر ان القدرية او الايمان بقضاء الله وقدره امر لا ريب فيه في الاسلام، لكن اولئك الرعايا استخدموا هذه القدرية على الوجه السلبي احياناً في تفسير تلك الظاهرة.

ففي كثير من الاحيان هم سمحوا للطاعون ان يأتي ويذهب دون تحريك اصبع لمنعه، وبسبب التخلف الثقافي والوعي الصحي لدى عموم العراقيين في العهد العثماني، فأنهم امنوا بالوجه السلبي للتفسير القدري.

و لم يكن يستثنى من تلك القاعدة حتى افراد النخبة السياسية الحاكمة، ومن هنا اظهر عموم الناس والعديد من افراد هذه النخبة نفوراً شديداً للتدابير الصحية، فعلى سبيل المثال عندما ضرب الطاعون بغداد بعنف عام 1831م استخدم عقيد بريطاني كل نفوذه لاقناع داود باشا والي بغداد بأقامة محجر صحي لكن العقيد البريطاني تلقى من الوالي المملوكي الجواب القدري السلبي المعهود عند عموم الناس يومذاك (الي يموت يموت، واللي يحيى يحيى)[14].

ان هذا التفسير القدري السلبي للظاهرة الوبائية، قد جعل الناس في العراق العثماني يتعاملون بتساهل ولا مبالاة مع الامراض الوبائية الفتاكة، ولا سيما الطاعون.

وفي ظل غياب رقابة صحية على الحدود ومداخل المدن، كان الحج الى مكة وزيارة العتبات المقدسة في النجف وكربلاء ودفن الموتى فيهما، لاسيما اولئك المصابين بالطاعون والأمراض الوبائية الاخرى مناسبات لانتشار الأوبئة بين الحجيج والزائرين وبين عموم الناس والأرقام والإحصائيات في ذلك تخبر.

7- التخلف الاجتماعي والثقافي:

في مجتمع كان تسوده الامية الجهل، كان من الطبيعي ان تلقى برامج مكافحة الاوبئة والتدابير الصحية الحكومية في العراق العثماني نفوراً من لدن غالبية الناس، وان يرفضوا التعامل معها بإيجابية، لذا لا غرابة ان اخفت عامة الناس الحقائق المتعلقة بالتفشيات الوبائية بينهم، وذلك لمجرد تحاشي تعرضهم لمضايقات التدابير الوقائية. وهذا التكتم عن الادلاء بالمعلومات عن الاوبئة لم يحجب المعرفة المبكرة بتطور الوباء فحسب، بل يفسر كذلك الاستجابة المتاخرة للسلطات الصحية في ملاحقة التفشيات الوبائية، في مجتمع كان منغرزاً في مستنقع التخلف والجهل، حتى صورة الطبيب قد شوهت في اذهان عامة الناس، لدرجة ان غدت كلمة طبيب مرادفة لكلمة قاطع طريق او جابي ضرائب، كما أشار لذلك تقرير صحي أمريكي عام 1894م.

المطلب الثاني: المعالجات الشعبية والرسمية لهذه الجوائح:

اولاً: المعالجات الشعبية:

1- اللجوء الى خارج المدن:

في ظل عدم وجود تطعيم او دواء فعال ضد الطاعون، كانت ابرز وسيلة معتادة من سكان المدن العراقية للتخلص منه هو اللجوء الى المناطق السهلية المكشوفة القريبة من بغداد، حيث الشمس الساطعة والهواء النقي وانعدام التلوث، وعادة ما كانت تقوم بذلك الاسر الموسرة من المسلمين واليهود والمسيحيين. (15)

2- الصلوات والدعوات:

وكان اللوذ بدور العبادة وسيلة اخرى لجأ اليها العراقيون اثناء هجمات الطاعون وتبعاً لذلك كانت المساجد تزدحم بأعداد غفيرة اثناء تفشيات الطاعون الوبائية، وكانهم بذلك ارادوا ان يحاربوا الوباء بالصلاة والدعوات، وهذه مسألة طبيعية بالنسبة للمسلم المؤمن لانه عندما يتلاشى الامل لديه فليس هناك من ملاذ له الا التضرع الى الله لرفع سوط البلاء.

3- الرقيات الشرعية:

ولان الطاعون ليس له علاج عند العشابة من الصلبة او غيرهم، ازدهرت اثناء الهجمات الوبائية للطاعون الرقيات الشرعية، سواء بالقراءات او باستخدام الحجيبات وتقليدياً هذه كانت مهمة الملالي وبعض رجال الدين في المدن والارياف.

4- استخدام علاجات مساعدة:

وهناك ايضاً علاج شعبي تمت التوصية باستخدامه من قبل البعض للطاعون، الا وهو العسل فقد لجأ الناس اليه بعدما يأسوا من شفاء ابنائهم. وقد تسبب هذا العلاج احياناً بكوارث للعوائل، ففي الوقت الذي كانت تتضخم فيه الغدد او العقد الليمفاوية في الرقبة لتضيق المدخل للجهاز التنفسي فأن ملعقة واحدة منه للاطفال صغار السن كانت كفيلة بأن تسبب في خنقهم ووفاتهم، وقد حدث مثل ذلك في بعض قرى الهندية التي ضربها الطاعون عام 1867م.

ثانياً: المعالجات والاجراءات الرسمية لمواجهة تفشيات الطاعون:

1- ضعف التشخيص:

ان عدم كفاءة الكادر الطبي في العراق العثماني في معالجة اصابات الطاعون انعكس من خلال الأداء الضعيف المستوى في مجالات التشخيص والعلاج. ففي عام 1876م مثلاً كان بعض الأطباء في بغداد لم يستطيعوا ان يميزوا بين الطاعون وبعض امراض الحميات.

وكان احد الأطباء يعالج كل حالات الطاعون والحميات بمادة الكينين، وحينما تبدأ دمامل الطاعون بالظهور لاحقاً فأن هذا الطبيب يعلن ان الحالة المرضية ميؤوس منها.

2- الرقابة الصحية على الحدود:

كانت احد ابرز الادوات التي دأب الادارة الصحية العثمانية في العراق على اعتمادها في الحد من التفشيات الوبائية للطاعون فرض الرقابة الصحية في المناطق الحدودية والداخلية، واقامة المحاجر والنطاقات الصحية، ان المحاجر اما كانت مؤسسات ثابتة او متنقلة، اما النطاقات فقد كانت خطوط دفاع صحية تمتد لمسافات طويلة، وتتألف احياناً من مجموعة مختلطة من المراقبين الصحيين والقطعات العسكرية.

3- التطهير والتعقيم:

ومن المعالجات الاخرى المستخدمة لتفادي انتشار العدوى الوبائية للطاعون، استخدام التطهير بالمواد الكيمياوية والحرق بالنار لملحقات الشخص المصاب وتهوية المواضع المصابة، كما استخدم ايضاً التدخين او التعفير للبضائع والمواد المستوردة والمصدرة كالسجاد والصوف.

4- دفن الجثث على الحدود:

ومن الاجراءات الاخرى للتصدي للطاعون دفن جثث المصابين بالطاعون القادمة من ايران عند خط الحدود مع العراق لمدة ثلاث سنوات، وبعد تحول هذه الجثث الى عظام يمكن نقلها ودفنها في مقابر المدن المقدسة في النجف وكربلاء.

5- ابادة القوارض:

وبما ان القوارض هي الوسيط للعدوى الوبائية، فقد اعتمدت السلطات العثمانية نظام التفتيش على المراكب والتأكد من خلوها من القوارض وإبادتها قبل انزال البضائع الى أرصفة الموانئ.

6- تشكيل اللجان الطبية:

وكان تشكيل اللجان الطبية المحلية ولجان الحكومة المركزية في اسطنبول احد الإجراءات التي وجهت لمعالجة التفشيات الوبائية في العراق العثماني، وكان واجبات هذه اللجان التقصي والتحقيق في أسباب التفشيات، واعداد التوصيات بشأنها الى الحكومة المحلية او المركزية او كلاهما، المهم ان كل تلك الاجراءات خففت من حدة التفشيات الوبائية للطاعون، لكن للأسف لم تفلح في وضع حد نهائي لها، اذا استمرت لغاية العقد الاخير من النصف الاول من القرن العشرين تفتك ولو بدرجات اقل بالعراقيين.

الخاتمة:

يبقى العراق معرضاً للاوبئة والامراض واخرها جائحة كورونا ويعود ذلك لموقع العراق الجغرافي وحدوده الطويلة مع ايران والتي وفدت الينا منها معظم الامراض والاوبئة ويضاف اليها ضعف المؤسسات الصحية وعدم الاهتمام بها من قبل الحكومات المتعاقبة ويضاف قلة الوعي الصحي لدى المواطنين بالرغم من كل الماسي وما نمر به الان دليل على ذلك. ونتمنى ان تنتهي هذه الجائحة ونأخذ منها الدروس والعبر لتحصين بلدنا وشعبنا من مثل هذه الجوائح.

المصادر:

1. بيير دي فوصيل، الحياة في العراق منذ قرن، ترجمة اكرم فاضل، بغداد 1968
2. جيمس بيلي فريزر، رحلة فريزر، ترجمة جعفر الخياط، بغداد 1964
3. ستيفن همسلي لونكريك، اربعة قرون من تاريخ العراق الحديث، ترجمها جعفر الخياط بغداد 1962
4. د.علي الوردي، لمحات اجتماعية من تاريخ العراق الحديث، ج1، دار ومكتبة دجلة والفرات، بغداد.
5. عبد الرزاق الحسني، تاريخ الوزارات العراقية، 9 اجزاء، مطبعة وادي الرافدين بغداد 1964
6. جريدة البلاد البغدادية

الهوامش:

(1) ستيفن همسلي لونكريك، اربعة قرون من تاريخ العراق الحديث، ترجمة جعفر الخياط، بغداد 1962، ص 193
(2) الوردي، د. علي، لمحات اجتماعية من تاريخ العراق الحديث ج1، دار ومكتبة دجلة والفرات، بغداد ص 194-195
(3) الوردي، د. علي، لمحات اجتماعية من تاريخ العراق المعاصر ج1، مصدر سابق، ص252
(4) اي طبيب القنصلية.
(5) ستيفن همسلي لونكريك، مصدر سابق ذكره ص267
(6) جريدة البلاد البغدادية بعددها الصادر في 1956/5/11

(7) الوردي، د. علي، لمحات اجتماعية من تاريخ العراق الحديث، ص279

(8) جيمس بيلي فريزر ((رحلة فريزر)) ترجمة جعفر خياط – بغداد 1964 ص119 نقلاً عن الدكتور علي الوردي، لمحات اجتماعية من تاريخ العراق الحديث، ج1، ص279

(9) المصدر السابق، ص 98– 99

(10) وهو سليمان فائق بن طالب القفقاسي الاصل من شركس العراق كان متصرفاً للواء البصرة للفترة من 1865–1866 اولاده حكمت سليمان كان رئيساً للوزراء في العراق لنهاية الثلاثينات من القرن الماضي ومحمود شوكت باشا من قادة الانقلاب العثماني على السلطان عبد الحميد.

(11) بيردي نوصيل، الحياة في العراق منذ قرن، ترجمة اكرم فاضل، بغداد 1968 ص 50

(12) بيردي فوصيل، الحياة في العراق منذ قرن، مصدر سابق، ص51–52

(13) المصدر نفسه ص 53–54

(14) تكلمنا في المبحث الاول عن موقف رجال الدين من الحجر الصحي واعتباره مخالفاً للشريعة الاسلامية من قبل رجال الدين المتزمتين.

(15) الوسيلة الوحيدة امام الناس هو الهروب من المدن المنكوبة الى المناطق الصحراوية او أطراف المدن كما شرحنا ذلك في المبحث الاول.